تحليل مدى توافق القدر مع عمل الإنسان وجهده

سيد حسن آقابابائي
عضو هيئة التدريس بجامعة نوشيرفاني التكنولوجية بابل، إيران
Aghababaei@nit.ac.ir

Analysis of the compatibility of fate with human work and effort

Seyyed Hassan Aghababai
Faculty member , Noshirvani University of Technology , Babol , Iran

الملخص:-

الإيمان بالقضاء والقدر من صفات المؤمن، التي تعبر عن العلاقة الخاصة بينه وبين الله. وقد ورد ذكر القضاء والقدر في كثير من الآيات والأحاديث، والإيمان بهما أمر. ومن الشكوك المطروحة في هذا الصدد أن هناك نوعاً من التناقض والتعارض بين مصير «القدر» ومسألة العمل والجهد؛ لأنه يقال إن الإيمان بقضاء الله وقدره هو ترك الجهد في الحياة الدنيا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن العمل والجهد أمران في الإسلام ينبغي بيان التعارض بين القدر والقدر العمل والجهد.

الكلمات المفتاحية: القدر، العمل، الجهد، الصراع، السبب، النتيجة.

Abstract:-

Belief in predestination and destiny are among the attributes of a believer, which express the special relationship between him and God. Al-Qadaa and Qadr have been mentioned in many of my verses and hadiths, and faith in us is a command. One of the doubts raised in this regard is that there is typically a contradiction and conflict between the destiny of "al-Qadr" and the issue of action and effort; Because it is said that believing in God's will and destiny is giving up effort in the worldly life on the one hand, and on the other hand, action and effort are commands in Islam, so the conflict between destiny and destiny, action and effort should be stated.

Key words: al-Qadr, action, effort, conflict, reason, result.

اشكالية البحث:-

إن أحد أسباب تخلف المجتمعات الإسلامية في مجالات العلوم والاقتصاد والتكنولوجيا يعود إلى التصورات الخاطئة عن المفاهيم والطرح الديني؛ ولأن تأثير الثقافة والمعتقدات على سلوك الناس لا يمكن إنكاره، فإن أحد هذه المفاهيم هو القضاء والقدر والقدر، بالإضافة إلى كونها أحد عوامل تخلف المجتمعات الإسلامية، فقد حاولوا تشويه تفكيرهم وعكسه معناها؛ وعلى هذا القول يظن البعض أن الله قد حدد السعادة والشقاء قبل خلق البشر، ولكل إنسان يوم "الصدوق، ص٣٥٦) فلماذا يتعب الإنسان نفسه في العمل ويتألم؟ من العمل والجهد؟ لأن كل ما يُعطى للجميع هو من الله والله هو الذي يعطي البحر المبارك، بحر النعم، والسفينة المفلسة، سفينة المشقة، وأيضاً يجب على المرء أن يصبر في مواجهة "القضاء والقدر" مثل الآيات القرآنية في هذه المسألة، معناها "والله خلقك وعملك، الصافات/٣" و"ما من شيء إلا ولم نغلق عليه خزائنه". ولم يحفظه إلا "لا ننزل قدرا معلوما، هاجر/ ٢١)"" وفي بعض الأحاديث، ورد أيضا أن عمل الإنسان يكون في فلك كتب عليه قلم القدر وجففه مسبقا (صحيح مسلم، المجلد ١). ج٤، ص٢٠٤٠، عدد ٤٨٢٦، نهج البلاغة، الخطبة ١٨٤، ص٣٦٠، غرر الحكم ودر الحكم، ج٢، ص٥٣٩٠ ٣٥٣٣، المجلسي، المجلد ٥، ٨١، باب القضاء والقدر، رواية ٣)، ما جاءك في يوم كان يوما مقسما، سيأتي على كل أحد كما قسم في الدهر، ولك عذاب. الكثير مني بسبب جهد اليوم ولا ينبغي أن يضاف، (انصير المعالي: ص٢٦) وقد كتب الله على عباده حكما قطعيا، ولا يستطيع أحد أن يعارض القضاء الإلهي، وكل شيء. ويجب على البشر أن يتبعوا نفس المسار. ليسلكوا الطريق المقدر لهم وشرف الخلق يقودهم نحوه فلنكرر أولاً سنقوم بتحليل معنى القضاء والقدر في الألفاظ والألفاظ، ثم من منظور الآيات والروايات.

مفهوم القضاء والقدر لغة واصطلاحاً:ـ

يستعمل في اللفظ معان مختلفة منها الضرورة واليقين، والتمام، والبيان والإعلان، والثبات، والحكم والخلق، ص٦٧٤؛ الزبيدي، ج٢، ص٨٥ و٨٤ هو تحديد مقدار وحجم الكائن؛ (الجوهري ج ٢ ص٧٨٦؛ ابن منظور ج١ ص٥٥ ج ١١ ص٥٥؛ الزبيدي ج٧ ص٣٧٠ و ٣٧١، الراغب الأصفهاني ص٦٥٨).

وفي الاصطلاح: لقد فسر المتكلمون الإسلاميون القضاء والقدر على التأويل والتفسير الذي جاء عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، وهو نتيجة للعلم الإلهي وتحديد قيم وخصائص الأشياء وضرورة ويقين العثور عليها من الله (الصدوق، ص٣٦٨، المجلسي، ج٥، ص١١٤، الكليني، ج١، ص١٥٨، غازي عبد الجبار، ص٧٧٠، الرازي)، المجلد ٢، ص ٥٥٤، الإيجي ج ٨ ص ١٨٠ التفتازاني ج ٤ ص ٢٦٥ الشيخ المفيد ص ١٦٠ الحمصي الرازي ج ١ ص ١٦٣ الجعفري جبر وأبهيته ص ٢٥١ السبحاني، جبر وأبهيته، ص١٠١، المرجع السابق، ج٢، ص٧٧٨)، أحداث العالم من ذلك أن وقوعها قد ثبت بالعلم والعناية الإلهية. وهم خاضعون للقدر الإلهي، وبما أن حدودهم وحجمهم وموقعهم في الزمان والمكان محددين، فهم مقدرون للقدر الإلهي (المطهري، ص ٣١).

الأول: القضا والقدر في القرآن الكريم

لقدد وردت كلمتي القضاء والقدر في القرآن الكريم عدة مرات، ويمكن تقسيم هذه الآيات بشكل عام إلى عدة أقسام:

- الآيات التي تشير إلى مبدأ القدر حول نظام الوجود بأكمله، الذي لا يخرج عن القدر الإلهي. (الأحزاب/٣٨، القمر/٤٩، في هاتين الآيتين تم التأكيد على مبدأ الخلق وتحديد حدود وقيم جميع المخلوقات بالله. (الطلاق/٣، رعد/٨) وفي هاتين الحالتين أيضاً أكد معروف على مبدأ القضاء والخلق، وكمية كل شيء وخصائصه. ويعلن أن خزائن كل شيء في عالم الوجود موجودة أمام الله وينزل منها مقادير معينة بأحجام وحدود معلومة ومحددة (الأنعام: ٥٩)، مما يدل على مصدر كل شيء في العالم. كتاب محفوظ ومعروف (الرعد/٢) وقد سخر الله الشمس والقمر وكل منهما في حركة حتى ذكر مستوى معين في الآيات السابقة. وقد ذكر أن الاهتمام بتطبيق وعمومية الآيات المتعلقة بوجود الإنسان وأفعاله وأحواله ومصيره ممكن ومتحقق بالقدر الإلهي. وقد تم التنبؤ بحدوثه وتحديده من قبل الله في المعرفة الأبدية.
- بعض الآيات الأخرى التي تخبر عن الراصد للإنسان وأفعاله وحياته وموته المحددة والمحددة التي لا يملك أحد أن يغيرها، مثل الآيات التالية (آل عمران/١٤٥،

الأنعام/٥٩، المنافقون). / ١١، إبراهيم / ١٠، الأعراف / ٣٤، النحل / ٦١، العنكبوت / ٥٣).

ج: تشير بعض الآيات القرآنية إلى أن الإنسان مستقل في أفعاله وفعال في مصيره ويستطيع تغييره. (الرعد / ١١، النحل / ١١٤، العنكبوت / ٤٠، فصلت / ٤٦، الدهر / ٣، الكهف / ٢٩، الروم / ٤١، الشوري / ٢٠، الإسراء / ١٨).

الثاني: القدر والقدر في الروايات

وفي مسألة القضاء والقدر والقدر، نرى روايات كثيرة عن النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام. وروى الامام الرضا عليه السلام عن رسول الله ﷺ من لم يرض بحكمي وآمن بقدري فليجد الهاً آخر (الصدوق ص٣٧١ التوحيد)

في الحياة النظرية والعملية لحضرة الأمير عليه السلام، نشهد تأكيداته وتأكيداته المتكررة حول القضاء والقدر. "وكان في شك مما أمر به وما نهى عنه. بل أمره ثابت، وعلمه ثابت، وعمله لا يتزعزع، (نهج البلاغة ٨، ٦٥) ويقولون في فقرة أخرى أيضًا: "لأنهم يعلمون أنك وكيل على كل شيء، كل الأمور من إرادتك." ٢٢٧) إن الأمور تحت سيطرة القدر حتى أن حل التفكير يؤدي إلى الموت، أي أن الحكمة ١٦ من القدر الإلهي كذلك وتظهر حساباتنا أن العلاج هو سبب الوباء؛ (المرجع السابق، الحكمة ٤٥٩)،... وقد جعل لكل شيء قدرا، وقد حدد لكل قياس أجلا، وقدّر لكل مدة حسابا، (المصدر نفسه، باب ١٨٣)، الأمور بالقدر لا بالحكمة، (ميزان الحكمة ج ٨، ص ٥١) وفي حياته كان سلوكه أيضا مبنيا على قدر المؤمن وكان ملتزما أيضا به. في الممارسة العملية. لذلك كانوا في الحروب يجيبون بالنفي رداً على إنقاذ حياتهم (الصدوق ص ٣٧٨ و ٣٧٩، المجلسي ج ٥ ص ٢٣) وكان استدلال حضرته في هذه الأمور هو أن نهاية كل إنسان. الوجود بيد الله، والله للحفظ، وقد اختار البشر ملائكة (الصدوق، ص ٣٦٨، ٣٧٩)، حضرة الرضا عليه السلام فينفذ أمره ويتم أمره، فإذا نفذ أمره رد إليه حكمه، فيقول: كيف كان ذلك (الحراني، ص ٤٤٢)، وقد روى أئمة آخرون في هذا الباب قصص منهم حذفت من أجل الإطالة (الكليني، المجلد الأول، ص. ١٥٠ و ١٥٨).

الثالث: العمل والجهد في القرآن

في ضوء العمل والجهد يتم ضمان الأمن النفسي والشخصية الاجتماعية للإنسان وتوفير الأرضية لنموه وتطوره. فالعمل والجهد هو الذي يزيل أصل الفقر ويحرر الإنسان من الفقر. يجب على المسلمين أن يتجهوا إلى العمل الجاد. في القرآن، يتم تقديم العمل والعمل كالتزام ومسؤولية إسلامية، والتي تشمل في البداية أي نوع من الجهد - الاقتصادي والديني والثقافي والسياسي، وما إلى ذلك. وفي هذا الصدد، ومن الناحية الاقتصادية، ينصح الإنسان أن يعمر الأرض (هود، الآية ٦١). وجاء أيضًا أنه بعد صلاة الجمعة تفرقوا وابتغوا من فضل الله (الجمعة، الآية ١٠). وكما في الآيات السابقة فإن فضل الله هو متابعة الرزق وطلب الرزق. ونقرأ في سورة: إنا جعلنا النهار نورا لتبتغوا من ربكم رزقا (الإسراء: ١٢).

الرابع: العمل والجهد في الروايات

قد دعا الدين الإسلامي المجتمع دائمًا إلى محاولة تلبية احتياجات الحياة من خلال الثناء على العمل والجهد وإدانة البطالة. وقد ذُكرت البطالة في روايات كثيرة، نذكر منها أمثلة: البطالة منافية للقيمة ومذمومة في دين الإسلام الحنيف؛ وكان النبي ﷺ إذا لقي من لا يتعلم التجارة ليكسب رزقه قال: غابت عنه؛ لأن المؤمن عندما لا يكون له مهنة، فإنه يجعل دينه وسيلة عيش على عاتق الآخرين؛ وإذا كان العمل مصدرا للألم والمشقة فإن الفراغ والبطالة مفسدتان (المالكي الأشترى، ج١، ص٦٠).

وسأل الإمام الصادق عليه السلام عن عمر بن مسلم فقالوا: اتجه إلى العبادة وترك التجارة. قال: ويله؛ ألا يعلم أن من ترك عمله لا يستجاب له؟ بعض أصحاب رسول الله لما نزلت الآيتين الشريفتين من سورة مباركة الطلاق توقفوا عن العمل والأعمال وتوجهوا إلى العبادة، وفي تبرير عملهم قالوا للنبي: "يا رسول الله" يا رسول الله، رزقنا وتوجهنا للعبادة، فجئنا به. قال حضرة: من فعل ذلك لم يستجب له. "يجب عليك أن تذهب لطلب الرزق." (الكافي ج٥ ص٨٤) قال رجل للإمام الصادق عليه السلام: "إني أجلس في بيتي فأتعبد؛ لأن الله يرزقني. فقال النبي: ""هذه إحدى الفئات الثلاث التي لا يستجاب لها"" (الكيليني، المجلد ٥، ص ٧٧).

في أحد الأيام جاء علاء بن كامل إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال: ادع الله أن يرزقني

يوماً أبلغ فيه الرخاء واليسر. قال حضرة: لا أصلي هكذا؛ "كما أمر الله تعالى، اذهبوا في طلب الرزق" (الكيليني، المجلد ٥، ص ٨٨).

قال الإمام الباقر عليه السلام: إني لأغضب من الرجل شدة الغضب عليه، وهو مهمل لا يجتهد، ويسأل الله الرزق ولا يطلب. لكسب الرزق أغضب غضباً شديداً، مثل النملة التي تخرج من عشها، وتبحث يوماً ما.

وقال معاذبان كثير للإمام الصادق عليه السلام: عزمت على الخروج من السوق؛ لأن لدي ثروة لأقضي حياتي بها.

فقال الإمام الصادق عليه السلام: إذا لا يسألونك عن رأيك في شيء؛ (سيضيع عزكم وكرامتكم) (الكليني، المجلد ٥، ص ١٤٩)

إن الله تعالى يحب هذا الجهد البشري ليخلص نفسه؛ لأن الجهد الذي لا ينقطع ولا يتكاسل خير من أن لا يكون له خيال ولا أقران. روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى إنسانا فلم يلتفت إليه وانصرف فلما رجع انتبه إليه وسأل الصحابة عن الحكمة من هذا الفعل فقال النبي: ""لما غادرت، تركته عاطلاً ومتزوجاً." ورأيت قرين الشيطان، وعندما رجعت رأيته يرسم خطاً على الأرض، ولم أر الشيطان معه، وانتبهت إليه. فإن كان له دخل (حلال) لأهله فإن أجره وثوابه أعظم وأعظم من المجاهد في سبيل الله.

أعلى عبادة العمل وأصعبه الإدارة. قال داود عليه السلام للسكافي (الحداد، الإسكافي): اعمل وكل طعامك؛ لأن الله تعالى يحب الذي يعمل ويأكل؛ "ليس الذي يأكل ولا يعمل" (المالكي الأشتري، ج١ ص٤٢).

حضرة سليمان يجفف ويبيع الخضار ويدير حياته. (مجموع الورام ج ١ ص ٤٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا شك أن الله تعالى يحب الرجل العامل الذي يكون أمينا على الناس. إن الله تعالى يحب المؤمن الذي يعمل ويجتهد.

العمل في سيرة الأنبياء وأوليائهم

فقال أمير المؤمنين: أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام أنك خير العباد. فإن لم تكسب من بيت المال وعملت بيديك؛ بكى داود عليه السلام أربعين يوما وقد خفف الله له الحديد،

ولذلك بصنعه درعا كل يوم وبيعها بألف درهم، فقد أسلموا حياتهم وخرجوا من بيت المال بلا حاجة (الكليني، المجلد ١). (٥) ص٧٤ المجلسي ج١٤ ص١٣، قال الامام الصادق عليه السلام: ما بعث الله عز وجل نبيا إلا كان فلاحا. باستثناء إدريس الذي كان خياطا.

ذات يوم كان الإمام موسى الكاظم عليه السلام يجتهد في أرضه فقال لرجل استغرب عمل النبي ولم يعتبره جديراً بكرامته: رسول الله أمير المؤمنين. المؤمنين، وأجدادي الذين كانوا أفضل مني، كلهم يعملون ويعملون العمل هو سيرة الأنبياء والرسل ورسل الله وأهل الخير. (الكليني، المجلد ٥، ص ٧٦)

كان الإمام الصادق عليه السلام يعمل في بناء جدار وبيده مجرفة، فطلب منه أحد أصحابه أن يعمل بدلاً من الإمام، فأبى الإمام عليه السلام وقال: بلا شك أريد عملاً. أن يعيش الإنسان تحت الشمس الحارقة من أجل رزقه (الكليني ج ٥ ص ٧٦)، وكان الإمام علي عليه السلام يعمل بيديه المباركتين ويجاهد في سبيل الله؛ وعمل بيديه في أملاكه وأعتق من ذلك الدخل ألف عبد. وكان يفعل كل هذه الأمور بنفسه (ابن أبي الحديد ج ١٥ ص ١٤٦)، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم مسافرا مع أصحابه، وبينما هم يعدون الطعام، أخذ كل منهم عملا و عملا. فقال النبي: أبحث عن حطب، فقال الصحابة: يا رسول الله، لا عليك، آباؤنا وأمهاتنا هم ذبائحك. سوف نفعل هذا." وفي هذا الوقت قال النبي: أعلم؛ لكن الله تعالى لا يحب أن يكون عبده تفتا منفصلا عندما يكون مع أصحابه فهو مفتاح كل شر. وعلى الإنسان أن يحاول كسب لقمة العيش والعمل لتلبية احتياجات حياته ولا يجعل من نفسه عبئاً على الآخرين.

الجواب على الشبهة

والآن لا بد من التساؤل عن مدى توافق الآيات والأحاديث المذكورة آنفاً والتي تؤكد على العمل والجهد مع الآيات والأحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر. كثيراً ما يتوهم الناس أن قلم القدر والقدر، وقد سجل الله الأحداث بما في ذلك الإنسان وأفعاله منذ اليوم الأول في كتاب يسمى "لوح محفوظ"، لذلك يولد كل شخص وله قدر معين من الأم لا يمكن أن يكون هذا القدر إن تغيير القدر والجهود والمساعي لا جدوى من تغيير القدر وهو نوع من النضال ضد العناية الإلهية. ويذكر البعض أيضًا هذه الآيات وأحاديث القدر لدعم

ادعائهم.... أما لو انتبهوا للنقاط التالية لما مالوا لمثل هذه الفكرة الفاسدة..

١- أن القضاء والقدر ينتميان إلى نظام السبب والنتيجة ونظام السببية

من المبادئ المؤكدة والمقبولة في التقاليد الإلهية في إدارة عالم الطبيعة والإنسان، أن سريان قانون السبب والنتيجة بين الأحداث أمر لا يمكن إنكاره، ولا تشير العلوم الطبيعية والملاحظات الحسية والتجريبية فقط إلى نظام الأسباب والأسباب، ولكن ثبت هذا أيضًا من أكثر البراهين إقناعًا في الفلسفة الإلهية. (المطهري ج٦، ص٦٨٦، ج١، ص٣٨٢)، ولذلك فإن من لم يفهم مفهوم القضاء والقدر فهما صحيحا وترك المحاولة ولجأ إلى العزلة، فقد جهل فعلا أمر الله. وهذه أمثلة واضحة لهذه الآية: (نؤمن ببعض ونكفر ببعض: النساء ١٥٠) وقد أكد الله في القرآن على القضاء والقدر وعلى العمل والجهد. ونقرأ في سورة الطلاق: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق، الآية ٣) ويقول أيضاً في آخرها: (انَّ الله بالغُ أمره وقد جعل الله لكل شيء قدراً).

والآية: " قد جعل الله لكل شي قدراً "ويشير إلى النظام التشريعي والتعليمي؛ وهذا يعني أن أمر الله في مختلف القضايا مبني على حساب وقياس دقيق وحكيم. لقد جعل الله حصول الإنسان على الأشياء المادية والحياة متوقفا على العمل والجهد، وبالإضافة إلى القرآن الكريم، فقد تم التأكيد في الروايات على مبدأ السببية العامة ونظام الأسباب والأسباب. "إن الله يأبى أن يدير شؤون العالم إلا من خلال نظام أسبابه؛ ثم أعطى الله لكل شيء سببا خاصا. (المجلسي ص٩٠)، ولذلك فإن ضرورة الإقرار بمبدأ السببية ونظام الأسباب والعلل للعالم ولجميع أحداث العالم هو أن كل حدث له ضرورة يقينية حدوثه. الوجود، وكذلك خصائصه الزمانية والمكانية وغيرها من الخصائص الوجودية المستمدة من أسبابه السابقة، وهناك صلة لا تنقطع بين الماضي والحاضر والمستقبل بين كل كائن وأسبابه السابقة، أي قبول مبدأ السببية. هو قبول هذه المسألة التي فكل حادثة تأخذ ضرورتها ويقينها وخصوصيتها وشكلها وحجمها وجودتها من سببها. ونتيجة هذه المحتويات هي أن إرادة الله وعنايته مرتبطة بحقيقة أن تحقيق كل ظاهرة وتأثير يتم من خلال مسار وقناة سببها الخاص والخاص، بحيث يكون تحقيق الأحداث والفعل في إن العالم ليس عرضيًا ومفرطًا، بل هو ضروري. هناك أسباب أو أسباب مختلفة تجعل وجود ذلك السبب أو الأسباب

ضرورياً للإدراك الحالي؛ وبمعنى أعم، فإن جميع التفاعلات في نظام الوجود تتشكل على أساس نظام السببية، فمثلا من بذرة القمح، ومن الشعير ينبت الشعير بالضرورة التربة والضوء ويتبين من المعرفة المذكورة أعلاه أن المعرفة الأزلية بقضاء الله وقدره تتوافق مع المبدأ الذي يحكم الكون (نظام السبب والنتيجة) بمعنى أن الإنسان في العالم الطبيعي يخضع لنظام السببية والسببية. ومن ثم فهو ينتمي إلى العلم والقدر السابقين، وقدر الله إلهي، وإلى جانب الحالة الطبيعية فإن فعل الإنسان يتوقف بإرادته وإرادته الحرة، فيما عدا الأخيرة فإن الإرادة تلعب دوراً هاماً وجوهرياً في العمل الإنساني.

السؤال

وأما الجواب المذكور (تحقيق كل ظاهرة بعللها وسببها) فيطرح السؤال الآتي، كيف يتوافق مع الآيات والأحاديث التي تنص على أنه لا شيء خارج عن القضاء والقدر، الصافات/٣، الحجر ٢١، الطلاق ٣، الجامع الصغير، ص ١٥.-ولأن القضاء يتجاوز الفهم، فلا أحد يعرف القضاء إلا الله

- إذا جاء الحساب فاحجبوا البصر حتى لا تعرف عقولنا
- فأخبر الإمام المتقين بهذا الخبر وقال: إذا جاء القضاء عمّي البصر.
- وعندما يأتي القدر يصبح الطبيب أحمق ويخطئ الدواء في مصلحة الطرفين
- فإذا جاء القدر لن ترى غير جلود أعدائك، ولن تتعرف على صديقك (المثنوي ص٢).

الإجابة

هذه الأخبار والروايات تشير إلى قصة حقيقية؛ ولا يخالف مبدأ العلية العامة ولا عمومية القضاء والقدر؛ وهو يشرف على النظام العام للعالم وعلى مجموع الأسباب والأسباب، المادية والروحية؛ ويشير إلى الحالات التي تطغى فيها الأسباب الروحية على الأسباب المادية.

ولا ينبغي أن تقتصر الأسباب على الأبعاد المادية فقط. يتكون النظام الذري من جميع

الأسباب الظاهرة والخفية. فكما أن الأسباب المادية والملموسة تحيد وتعطل البعض الآخر، فإنهم يتعطلون أيضًا تحت تأثير الأسباب الروحية في أوقات معينة.

ومن لا يرى إلا الأسباب المادية والمعنوية، يتصور أن السبب يقتصر على هذه الأشياء؛ وهو لا يعلم أن آلاف الأسباب والأسباب الأخرى قد تكون أيضاً عاملة بقضاء القضاء والقدر الإلهي، وعندما تلعب تلك الأسباب والأسباب تجعل الأسباب والأسباب المادية محايدة وغير فعالة.

"واذكر حين صغرهم الله في أعينكم، وصغرتم في أعينهم حين لقيتموهم، ليحقق ما كان ممكنا. وترجع جميع الأعمال إلى الله. الأنفال، الآية ٤٤"

وهذه العملية هي إحدى حالات تقدم الأسباب الروحية على الأسباب المادية. عندما تجد أمة، نتيجة اتخاذها خطوة في الطريق الصحيح والصالح، استحقاق التثبيت والتأييد، وأمة أخرى، على العكس من ذلك، تستحق الخيانه والتدمير، نظام العالم المثالي والكمال. ويدعم الأمة الأولى بكل ما تفتقر إليه من المعدات والمرافق المادية، ويضع نفسه ويدين الأمة الثانية بالانحدار بكل الوسائل المادية.

"من يتوكل على الله في طريق الحق حسبه الله. الله ينفذ أمره وحكمه. وقد جعل الله لكل شيء قدرا وحدا." الطلاق، الآية ٢

وفي هذه الآية الكريمة، وإن جاء بجملة "وقد خلق الله لكل شيء قدرا"، نظام العالم وأن لا شيء يحدث بشكل مفرط وكل شيء في مكانه، أي نظام الأسباب والأسباب. وقد تم الاعتراف رسميًا بالأسباب، وفي الوقت نفسه يقول إن الله يحقق أمره؛ أي أنه عندما تلعب العلاقات الروحية والتأكيدات غير المرئية دورًا، يحدث تدفق آخر وتصبح الأسباب الظاهرة غير فعالة. (المطهري ص ٤٠٩-٤١١)

ومن المضامين السابقة يتبين بطلان كلام من استخدموا الإيمان بالقدر أداة للهجوم على الإسلام والمسلمين، وأن الإنسان مجبر ومقيد وعليه انتظار القدر، ووفقا للاعتقاد بالقدر وثبت أن علم الله وإرادته لا يخلق شيئا إلا بأسبابه. وبعبارة أخرى، فإن معرفة الله وإرادته تتعلق بأفعال الإنسان وأفعاله، كما أن سعادته أو بؤسه يقتصر أيضًا على الأسباب

ذات الصلة. وأخيراً أحياناً يدرك الإنسان سببها وأحياناً لا يفهم سببها. معظم الناس، عندما لا يفهمون سبب شيء ما، يعزونه على الفور إلى الحظ والصدفة. فإذا فهم الإنسان هذه المسألة جيداً، فلن يكون هناك مكان للحظ والحظ والثروة. ومثل هذا الاعتقاد يعتبر الإنسان حراً وفعالاً في مصيره.

شبهات في العلم الإلهي ومسألة القضاء والقدر:ـ

وأشهر الاعتراضات في مسألة القضاء والقدر المرتبطة بعلم الله، أن الله عالم بما يحدث وما لا يحدث منذ الأزل، وليس هناك حدث يخفى على علم الله، ولا يتغير ولا يمكن تغييره، لأن التغيير يتناقض مع كمال جوهر الله وكماله. ولا يمكن أن يكون ما يعلمه الله منذ الأزل مخالفا لما يحدث لأنه لا بد من أن معرفة الله ليست معرفة. وهذا أيضاً ينافي كمال الله وكماله، وبناءً عليه يتم التوصل إلى أن الأحداث لا بد أن تتحقق على الوجه الذي يتفق مع علم الله، وهذا يعني أنه قد تم تحديد قدر محدد لا يمكن انتهاكه في يتقدم. على قول الأستاذ شهيد مطهري (مجموعة المؤلفات ج١ ص٦٥) هذه القصيدة منسوبة إلى الخيام.

أنا أشرب الخمر، فيسهل على من كان أهله

كان الله يعرف من البداية أن شربي كان صحيحًا وإن لم أشرب خمرا، وكان علم الله جهلًا.

ومثل هذا التفكير الخاطئ، هناك أيضاً عند العوام أنه لو مثلاً قتل ابن ملجم عليه السلام حضرة علي عليه السلام، وشمر بن ذي الجوشن عليه السلام قتل سيد الشهداء عليه السلام، فإن هذا هو قدر معين لا يمكن انتهاكه.

الإجابة

لًا، معرفة الله الأبدية هي معرفة النظام الأفضل؛ أي أن علم إصدار العاهات هو أحد أسبابها الخاصة. في النظام الموضوعي الخارجي، تختلف الأسباب والعوامل: أحدهما طبيعي والآخر واعي؛ أحدهما حر والآخر مجبر. وهذا هو الحال أيضًا في النظام العلمي؛ أي أن كل موضوع موجود في العالم العلمي كما هو في العالم الموضوعي، لكن ينبغي القول إنه في العالم الموضوعي كما هو في العالم العلمي. فالعلم الإلهي المسند إلى صدور أثر من

موضوع يعني أنه مكلف بصدور أثر الاختيار من الموضوع الاختياري، وإلى صدور أثر الواجب من الموضوع الواجب. الذي يقتضيه ويقتضيه العلم الإلهي هو أن يكون الفعل من الفاعل الاختياري والفاعل الواجب مشتقين من الفاعل الواجب، لا أن العلم الإلهي يقتضي أن يكون الفاعل مجبرا أو يكون الفاعل اختياريا.

في نظام الوجود، يتمتع الإنسان بنوع من الحرية والسلطة في أنشطته، وهو ما لا يتوفر لدى الكائنات الأخرى، حتى الحيوانات. وبما أن النظام الموضوعي متأصل في النظام العلمي ومصدر العالم الكوني هو العالم الإلهي، فإن المعرفة الأبدية التي تخص أفعال الإنسان وأفعاله تعني أنه يعلم منذ الأزل من يطيع باختياره و الحرية من هو المذنب؟ والذي يقتضيه ويقتضيه ذلك العلم هو أن من أطاع يطيع بإرادته واختياره، ومن يذنب فإنه يذنب بإرادته واختياره. وهذا معنى قول من قال: "الحر غالب"؛ وهذا يعني أنه لا يمكن أن يكون مستقلا. ولذلك ليس للعلم الأزلي أي دخل في إنكار حرية واختيار من عقد العزم على أن يكون مستقلاً وحراً في النظام العلمي والنظام الموضوعي؛ ولا يتدخل في حرمان الإنسان من اختياره وحريته بإجباره على المعصية أو الطاعة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن كل إنسان يرجع إلى ضميره ويشعر ويفهم مبدأ حريته واختياره، ولذلك فإن حكم الضمير وحكمه، الذي يتمتع بحالة المعرفة المباشرة والحدسية، لا يمكن أن ينتهك أبداً إلا إذا حاول الإنسان أن يخدع ضميره ومع وجود السلطة والحرية في النفس ينشر حجاب الجهل على حقيقتها ويتجاهلها أيضاً.

وفي الآيات والروايات التي لا تعد ولا تحصى يمكن أن نرى أن نظام السبب والنتيجة قائم في هذا العالم، ومثال ذلك: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر/٤٣). لم ولن يتم اعتبار الحكم النهائي والقدر، الذي هو خارج عن إرادة البشر، القوة الدافعة للتاريخ ﴿يُغَيِّرُ مَا قَوْمٌ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد/١١)، (الأنفال/٥٣) ونظراً لدور الإنسان في مصيره، جعل الله الإنسان مسئولاً عن أفعاله وحياته باستمرار. "إن هذه أمة ومجتمع" قد خلت، إنهم مسئولون عن أعمالهم، وأنتم مسئولون عن أعمالكم، ولكم مسئولون عن أعمال الماضي أبدا (البقرة/١٣٤)، القرآن الكريم وهو مرآة للمجتمعات الماضية فهو يعلم ويقول أن الدرس هو سائل العقاب والصحوة ووسيلة للتعرف على

أسباب العلو والانحطاط. "وإن في فراقهم عبرة للعقلاء" (يوسف/١١١)، يوصي الله تعالى بالتطلع إلى حياة الشعوب والأمم الماضية لمعرفة أسباب قوتهم وضعفهم كانوا أقوى منه وغيروا الأرض واستوطنوها أكثر من هؤلاء. لقد جاءهم الأنبياء بالأسباب الواضحة - فلم يقبلوا - فلم يظلمهم الله أبداً وهم أنفسهم يظلمون (يوسف/١٠٩، الحج/٤٦، غافر/٢١ و٨٢، محمد/١٠، آل عمران،١٣٧، الأجر ١١، النملة/٣٦، النملة/٢٩، العنكبوت/٢٠" إذا كان الإنسان في بناء نفسه ولم يكن تاريخها مستقلا ولم يكن هناك سبب لقول الله في قرآنه ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران/١٣٧).

النتيجة:ـ

ويتضح من الآيات والأحاديث أنه لا تعارض بين القدر والقدر والعمل والجهد. ولأن كل إنسان يجب أن يعلم أن النظام العالمي له قوانين وليس مفرطا ولا عبثا، وأن النظام السببي يحكم الكون، لذلك يجب على البشر استخدام كل قواهم للوصول إلى وجهتهم واستخدام الوسائل والوكلاء ومحاولة ذلك كسب لقمة العيش من أجل الوصول إلى رغباتهم والاستفادة من التسهيلات التي وهبها الله لهم. وفي هذه الحالة لن يكون هناك المزيد من العوائق أمام النجاح وإنجاز العمل، وبالتالي فإن الاستسلام للقدر والقدر لا يعني أبداً أن يتوقف الإنسان عن أي جهد ويعتبر كل شيء قد تم ولا يعتبر نفسه دوراً فيه، ولهذا السبب إن القدر والقدر لا يمنعان العمل والجهد فحسب، بل يؤديان أيضاً إلى الرخاء الاقتصادي الفردي والاجتماعي في كافة المجالات.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. الآمدي، عبدالواحد، غرر الحكم و درر الكلم، ترجمه محمدعلي انصاري، قم، امام عصر، ١٣٨٠.

٢. ابن ابي الحديد، عز الدين المعتزلي، شرح نهج البلاغه، موسسه اعلمي، بيروت، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م

٣. ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار بيروت، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.

٤. ابن منظور، محمدبن مكرم، ١٤٠٨ ق، لسان العرب، بيروت، دار احياء الثراث العربي، چ اوّل.

٥. الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربيه، بيروت، بي تا

٦. الأنصاري، مرتضي، المكاسب، انتشارات دهاقاني، اسماعيليان، قم، چاپ دوم، ١٣٧٤.

٧. الإيجي، عضدالدين، المواقف با شرح سيد شريف جرجاني، منشورات شريف رضي، قم، ١٣٧٠ش،

٨. التفتازاني، سعدالدين، شرح المقاصد، انتشارات رضي، قم، ١٣٧٠ش

٩. الجوهري، اسماعيل، ١٤٠٤ ق، الصحاح تاج اللغه و صحاح العربيه، تحقيق عبدالغفور عطار، بيروت، دارالعلم الملايين، چ ٣.

١٠. الجعفري، محمد تقي، جبر و اختيار، انتشارات دار التبليغ، قم، ١٣٥٢ش،

١١. الحراني، أبو محمد، تحف العقول، تصحيح و تعليق على اكبر غفاري، موسسه النشر الاسلامي، جامعه مدرسين، ١٣٦٣

١٢. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعه، بي تا، بيروت، دار الاحيا التراث العربي

١٣. الحمصي الرازي، سديدالدين محمود، المنقذ من التقليد، انتشارات اسلامي، قم، ١٤١٢ق،

١٤. الرازي، فخر، المباحث المشرقيه، انتشارات بيدار، قم، ١٤١١ق

١٥. الراغب الأصفهاني، ابوالقاسم، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيدگيلاني، تهران، مرتضويه، پاييز١٣٦٢.

١٦. سبحاني، جعفر، الالهيات، به قلم شيخ حسن مكي، المركز العالمي لدراسات الاسلاميه، قم ١٤١٣ق،

١٧. سبحاني، جعفر، جبر و اختيار، به قلم على رباني گلپايگاني، موسسه تحقيقاتي سيد الشهدا قم، ١٣٦٨ش،

١٨. السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير، ٩١١ه، انتشارات دارالفكر، بيروت، بي تا

١٩. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الاحكام، دار التعارف، بيروت، ١٤٠١

٢٠. الطبرسي، رضي الدين، مكارم الاخلاق، ترجمه ابراهيم مير باقري، انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي، ١٣٨١

٢١. الصدوق، محمد ١٤١٤ق، من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي اكبر غفاري، قم، مكتبة الصدوق، ١٣٩٣ هـ.ق.

٢٢. عنصر المعالي، كيكاووس، قابوس نامه، قرن پنج هجري، به اهتمام و تصحيح غلامحسين يوسفي، انتشارات علمي و فرهنگي، چاپ ١٣، ١٣٨٣

٢٣. القاضي، عبدالجبار، شرح اصول خمسه، مكتبه وهبه، قاهره، ١٤٠٨ق،

٢٤. الكليني الرازي، محمد بن يعقوب، ١٤٠١، الكافي، تصحيح على اكبر غفاري، بيروت، دارصعب، چاپ چهارم.

٢٥. المالكي الأشتري، ورام، ١٣٦٨، تنبيه الخواطر و نزهه النواظر، مجموعه ورام، دارالكتب الاسلاميه، چ دوم، ١٣٦٨.

٢٦. المتقي الهندي، علاءالدين على، ١٤٠٩ ق، كنزالعمال في سنن الاقوال و الافعال، بيروت، مؤسسه الرساله.

٢٧. المجلسي، محمدباقر، بحارالانوار، بيروت، مؤسسه الوفا، چ دوم، ١٤٠٣ ق.

٢٨. محمدي الريشهري، محمد، ميزان الحكمه، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ١٤٠٤ق،

٢٩. المفيد، محمد بن نعمان، اوائل المقالات، با تصحيح چرندابي، مكتبه سروش، تبريز، ١٣٦٤ش،

٣٠. مطهري، مرتضي، انسان و سرنوشت،

٣١. مطهري، مرتضي، مجموعه آثار، ج٦، انتشارات صدرا، قم، ١٣٧١

٣٢. مطهري، مرتضي، مجموعه آثار، ج١، انتشارات صدرا، قم، ١٣٧٢

٣٣. مولوي، جلال‌الدين محمد، مثنوي معنوي، تهران، جاويدان، چ هشتم، ١٣٥٧.

٣٤. الميرزا النوري الطبرسي، ميرزا حسين، ١٤٩٨، مستدرك الوسايل، قم مؤسسة آل‌البيت عليهم السلام لاحياء التراث، چ اول.